

ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها كمظهر من مظاهر التواصل الثقافي

بين المغرب الأوسط والأندلس

( 582 – 658 هـ / 1186 – 1260 م )

Ibn Amira al-Makhzoumi The judge and writer of Bejaia as an aspect of cultural contact between  
.the Middle Maghreb and Andalusia  
(AH / 1186 - 1260 AD 658 - 582)

عمارة سيدي محمد

مخبر الجزائر والحوض الغربي للمتوسط، جامعة لجيلالي ليايس بلعباس  
amara.mohamed1982@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2020/12/01	2020/09/09	2020/08/25

## مُلخَصُ البَحْثِ

شكل المغرب الأوسط إحدى أهم البوابات الجغرافية للوافدين من الأندلس كمر نحو بقية بقاع الأرض. وزادت أهمية هذا الموقع من خلال المملكتين اللتين قامتتا على أرضه، وصار حُكماً سياسياً فيه تنافس كبير بين مدينتي احتضنتا كراسي الحكم والعلم والأدب، وعمل المتنافسون على استقطاب كل كفاءة تبحث عن الاستقرار الدائم أو المؤقت، وتوفير كل ضروريات النجاح. وفي مقابل ذلك الاستفادة من فكر المهاجر والزائر وما معه من علم وأدب ومقدرة سياسية، وهذا ما حصل مع الكاتب الأندلسي الشهير ابن عميرة المخزومي.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط – بجاية – الأندلس – الحفصيون – ابن عميرة – أبي زكرياء

## Abstract

The Maghreb was one of the most important geographical gates for arrivals from Andalusia as a passage towards the rest of the world.

The importance of this site has increased through the two kingdoms that rose up on its land, and it became a political rule in which there is great competition between two cities that embraced the chairs of government, science and literature. And the knowledge, literature and political ability with him, and this is what happened with the famous Andalusian writer Ibn Amira Al Makhzoumi.

**Keywords:** The Maghreb; Ibn Amira; telemcen; bejaia; Andalusia.

1. مقدمة:

لقد عرفت البشرية الرحلة والسفر بين الأقطار – ولاتزال -، ومثلت وسيلة لنقل المعارف والمعلومات فضلا عن التجارة واكتشاف البلدان والحروب.

ومع مجيء الاسلام تعززت هذه الرحلات، فاكتست طابع الجهاد، ونشر الاسلام بالحجة والبيان وبالي هي أحسن<sup>1</sup>. وتوسعت الرقعة الإسلامية حتى بلغت بلاد الأندلس، وصارت مُدُنْها لزمان غير قليل عواصم للإشعاع الفكري والعلمي، يَفِدُ إليها طلاب أوروبا النصراري قبل غيرهم.

وبعد ثمانية قرون مالت كفة القوة العسكرية والسياسية لصالح النصراري، التي أفرزت انحسارا في الرقعة الإسلامية في الأندلس يوما عن يوم، ورغم كل البطولات التي قدّمها الأندلسيون مُعزّزين بإخوانهم المغاربة، إلا أنّ أمر الله قضى بخروج حكم الجزيرة إلى النصراري<sup>2</sup>. واندفعت أمواج اللاجئين من خواص النَّاسِ ونُخبهم وعوامهم، تبحث عن وطن جديد في مشارق الأرض ومغاربها، كحال الأديب ابن عميرة موضوع مقالتنا. من هنا نطرح الإشكال عن أسباب رحلة الأديب، وأهمّ المحطات التي حلَّ بها وبصورة خاصة بجاية، والأدوار التي أدّاها هناك بكتاباته، ورسائله في بلاطٍ حفصي متوهج يومئذ، يروم خلافة الموحدين أولى النعمة على أرض المغرب الأوسط والأدنى.

لقد خدمت الظروف في مُجملها هذا العَلم، ليجد نفسه مُقدما في الكتابة السلطانية، تلتها الإخوانية الشخصية ببجاية الحفصية، فكتب بلسانه ونيابة عن غيره، مُعزياً ومهنئاً ومداعبا بثقافة زاخرة، ومعلومات عامرة تدل على الموسوعية التي انعكست على سوق الثقافة، والأدب يومئذ فزادتها دفعا ونفعا ورفعاً. فأما نسبه فهو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة<sup>3</sup>، يُكنى أبا المطرف<sup>4</sup> أصله من جزيرة شقر، وكانت ولادته في شهر رمضان سنة 582هـ / 1186م بجزيرة شقر<sup>5</sup>. المخزومي النسب بحسب المترجمين له<sup>6</sup>.

ولم تخرج النشأة العلمية للأديب عن واقع بيئة الأندلس العامرة يومئذ!؛ فقد عرفها ابن عميرة كالكثير من أفراد الأندلس، وبيوتها ذات الشهرة والصيت، على يد الأهل وشيوخ العصر المتميزين بالحفظ والإتقان والديانة، ذلك ما مهد للأديب أن يلحق اسمه ( في أحد أحفل العصور، بما سَطَّر فيه من الأحداث التاريخية والسياسية والعلمية عموماً. صحيح أنّنا لا نعرف على وجه اليقين بدايات ابن عميرة، إلا ما كان من مولده وشذراتٍ من حياة الصبا في طلب العلم والمعرفة، خصوصا وأنّه لم يكن من بيت ذي نباهة وشهرة)<sup>7</sup>.

ويذكر زميله ومعاصره ابن عبد الملك المراكشي ترجمة مستفيضة له لا تخلُ من فائدة، فيخبر أنه بدأ مسيرة الطلب العلمي بشدة ( العناية بشأن الرواية. فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله)<sup>8</sup>. فحرص على أخذ الأحاديث النبوية من روايتها، ذوي السند العالي المتصل، خصوصا وقد نشط بالأندلس، منذ فتحه المسلمون<sup>9</sup> العناية بالقرآن الكريم<sup>10</sup> والسنة النبوية، واشتهرت البيوتات العلمية ذات السند العالي كإبراً عن كابر<sup>11</sup>.

ومع اشتداد العود وتمكن الملكة العلمية ( تفنّن في العلوم، ونظر في المعقولات وأصول الفقه، ومال إلى الآداب فبرع فيها براعة عدّ بها من كبراء مجيدي النظم)<sup>12</sup>.

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

تتلمذ الأديب على ثلثة من أكابر علماء العصر يومئذ، ولعل من أبرزهم الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، وهو من أكبرهم وأبعدهم أثرا في حياته<sup>13</sup>، بالإضافة إلى أبي الخطاب بن واجب، وأبي عبد الله بن فرج، وأبي علي الشلوين، وأبي عمر بن عات، وأبي محمد بن حوط الله، ومن أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج وغيره هؤلاء<sup>14</sup>.

ثم انتقل أبو المطرف بين المدن الأندلسية<sup>15</sup> لطلب العلم ومجالسة العلماء. وبعد أن شبَّ واكمل نضجه الفكري، رجع إلى بلنسية قصد الاستقرار والحصول على وظيفة تُناسب ثقافته وطموحه، ( ذلك أن ابن عميرة كان منذ البداية يسعى وراء خطة الكتابة لما كانت تُوفره لصاحبها من الثراء والنفوذ والجاه والسلطان، وللمكانة الرفيعة التي كان يحظى بها الكاتب في المجتمع الأندلسي )<sup>16</sup>، وتحول إلى عظيم في الكتابة وفي فنون من العلوم<sup>17</sup>. وتقلَّب الأديب بين مناصب الكتابة والقضاء لمدة ثلاثين عاما، كتب فيها لأمرء الموحدين وسادتهم. فكتب أولا لوالي بلنسية<sup>18</sup> في سنة 608 هـ / 1211م، ثم انتقل إلى اشبيلية في سنة 617 هـ / 1220م ليكتب عن واليها - خليفة الموحدين قريبا -<sup>19</sup>، غير أنه عاد مُجددا إلى بلنسية في سنة 620 هـ / 1223م وتولى الوظيفة<sup>20</sup> ذاتها لآخر مرة لوالٍ موحدي<sup>21</sup> إلى سنة 626 هـ / 1229م، وهو تاريخ نشوب ثورة أطاحت بالحكم الموحد بقيادة الرئيس أبي جميل<sup>22</sup> الذي نجح في استخلاص بلنسية<sup>23</sup>، وأقرَّ ابن عميرة في منصبه إلى غاية سنة 628 هـ / 1231م، وهو تاريخ انتقال أديبنا إلى مسقط رأسه وأول مُنطلقه إلى المجد<sup>24</sup>، فاشتغل - بصفة مؤقتة - بالكتابة عن واليها<sup>25</sup>.

وفي الفترة الممتدة من سنة 630 إلى 633 هـ / 1233 - 1235م تولى ابن عميرة منصب القضاء في مدينة شاطبة، ثم ولى الكتابة بمدينة مرسية فيما بين سنوات 633 و 636 هـ / 1235 - 1238م، ومنها توجه إلى غرناطة وهي آخر مرحلة في طريقه نحو العدو المغربية حيث ينتهي الفصل الأول من حياة ابن عميرة الإدارية في الأندلس<sup>26</sup>.

وفي المغرب عاصر الأديب السنوات الأخيرة لحكم الرشيد المأمون الموحد ( 630 - 640 هـ )، الذي عينه في وظيفة الكتابة مبلغ طموحه<sup>27</sup>. ولعل من أجل ما كتب عنه الظهير الشهير لتوطين مهاجري ولاجئي الأندلس الشرقية، وهو بتاريخ 21 شعبان 637 هـ / 1240<sup>28</sup>.

وكانت المنطقة الشرقية من الأندلس أول ما سقط بيد النصارى في القرن السابع الهجري / 13 الميلادي<sup>29</sup>. فأمر الرشيد بإسكانهم مدينة رباط الفتح، ومنحهم مزايا امتلاك الأراضي والدور مع إعفائهم من الضرائب حاش الزكاة، ( وعند ذلك أذن لهم - أعلى الله تعالى إذنه، وجدد سعده ويُمنه- في النُّقلة إلى رباط الفتح عمَّره الله بقضيتهم وقضيتهم، وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلاً من مساكنهم وأرضهم، ويعمروا منه بلداً يقبل منهم أولى من قبل...ويتأثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم، وكل ما يعمرون من الضياع، ويقتنون من الأصول والرباع، فله حكم التسويغ على الإطلاق والدوام، لا يُلزمون فيه شيئا من وجوه الإلزام، ولا يُطلبون بغير حقوق الشرع التي جعلها الله تعالى في أموال أهل الاسلام....)<sup>30</sup>.

وولى الرشيد ابن عميرة قضاء مدينة سلا التي ناب عن أهلها في تهنئة الموحد بمراجعة يغمراسن الطاعة برسالة في سنة 638 أو 639 هـ<sup>31</sup>. وجاء فيها بعد مقدمة طويلة في مدح البيت الموحد وخليفته الرشيد يومئذ، ثم الصلاة والسلام على رسول الله وأصحابه البررة، وصولا للترضي على ابن تومرت، ووصفه بالمهدوية

## • ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

والعصمة، ( المعلوم العليم بفضيلة العلم وفريضة التعليم...وعن خلفائه الراشدين الجارين على نهجه القويم...)<sup>32</sup>. ولزال ابن عميرة يمدح الدولة ويصف بطولات قيادتها في الليل والنهار، حتى وصل الكلام ببعضه بالحديث عن مَقْدَمِ خبر مراجعة يغمراسن للطاعة، ( ودُعي العبيد إليه، فأجابوا مهطعين، وحضروا لقراءته يوم الجمعة بعد أن قُضيت الصلاة...وعرفوا منه إتيان بيعة تلمسان عفوا بلا تعب وابتداء دون طلب )<sup>33</sup>.

ثم شرع الأديب يصف تلمسان ويُعَدِّد خصالها الجميلة ( جمعت محاسن المدائن منها في مدينة، واشتملت على أكمل عُدة ليومي حرب وزينة، حَشوها السلاح والكُراع، وفاخر متاعها لا يُضاهيه متاع )<sup>34</sup>.

وخلف الرشيد السعيد ( المعتضد ) في سنة 640 هـ، وأقرَّ القاضي الأديب في منصبه<sup>35</sup>، ( ووصلت الكتب المبرورة تتضمن كل قول مؤنس...وورد الخطاب الإمامي الكريم...بالإقرار الذي أشار في جانبي أكرم إشارة..)<sup>36</sup>.

وتولى ابن عميرة كتابة بيعة أهل رباط الفتح المتأخرة<sup>37</sup>. ثم شغل المنصب ذاته في مكناسة<sup>38</sup>، واستمرت مكاتباته ورسائله الديوانية والإخوانية، وفي واحدة منها وصف سوء أحوال المدينة وتدهور الأوضاع بها<sup>39</sup>. وفي

سنة 643 هـ، وأمام اشتداد قوة الميرانيين، وجهت المدينة بلسان قاضها البيعة الى بني حفص بواسطة عملائهم من بني مرين<sup>40</sup>. ومما ورد فيها بعد المقدمة من حمدلة وصلاة على المختار: ( ونرفع الدعاء في مضان قبوله،

ومواقف الرجاء في وصوله، لمولانا الإمام الأعظم والملاذ الأعصم، الأمير الأجلَّ الهمام الطاهر الأسعد، الأشرف الأعلى المؤيد، المنصور ناصر الدين، وكافل الإسلام والمسلمين، أبو زكرياء بن الشيخ المعظم المقدس المجاهد

الأرضي أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص، ولوليَّ عهده الكريم، وسليل مجده الصميم، الأمير الأجلَّ المؤيد أبي يحيى )<sup>41</sup>.

وبعد استرسال في المدح صرَّح ابن عميرة أخيراً عن فحوى القرار الذي أجمع عليه أهل المدينة قاطبة، ( وعندما أخرج الحق من تلك العهدة، وتمخض الرأي عن صريح الزبدة، اتفق منهم الصلحاء والعلماء، والأشياخ

والأعيان النصحاء، ووجوه القبائل والعشائر، وكافة طبقات الناس من البادي والحاضر، على أن يُبايعوا الإمام الهادي الأمير الأجلَّ أبا زكرياء...بيعة زُفعت بالعدل معالمها، ووُضعت على التقوى دعائمها، وصادف وقت الحاجة

بيانها...)<sup>42</sup>.

وتعبيراً عن الولاء المطلق للسلطة الجديدة، أرفق أهل المدينة بيعتهم للأمير بأخرى لوليَّ عهده، ( وهي البيعة للأمير أبي يحيى، فرع الدوحة العليا...وكلتا البيعتين أمضوها على أساليبها المرعية، وقوانينها الشرعية

بنيات كريمة، وغيوب سليمة...وكتب الملأ المذكورون بكل ما ذكر فوق هذا خطوطهم شاهدين على أنفسهم بنصه كله، وعاقدين منه ما لا رخصة لأحد من الأحدين في حَلِّه...)<sup>43</sup>.

وسرعان ما جهز السعيد الموحد جيشاً ضخماً للزحف نحو مكناسة، وتمكن من استرجاعها، وهناك تبرأت الأهالي مما فعله قاضها ابن عميرة، وأبرمت العهد بعد النكث للموحدين مجدداً<sup>44</sup>. لكنَّ السعيد سُرعان

ما لقي حتفه في صفر 646 هـ / 1248 م.

وأما القاضي المنكوب فلجئ إلى سبته يندب واقعا غير متوقع، عبَّر عنه في إحدى رسائله يصف الخطر المحدق الذي صار يتربصه<sup>45</sup>. وفي طريقه تعرض للسلب واللصوصية، وضاعت ممتلكاته وأمواله، وكتب رسالة<sup>46</sup>

يشكو فيها سوء ما حلَّ به. وأقام هناك ينتظر بشغفِ الأسطول الحفصي، لكنَّه فشل في إيجاد مكان له فيه بين الفارين، واللاجئين الأندلسيين من اشبيلية إلى تونس، بعد حصار المدينة، فسقوطها بيد النصاري، ما يدلُّ

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

على العدد الكبير الجَمِّ للفارين يومئذ! (وُعدتْ أن يُحمل والشمل جميع، والفصل ربيع، والظهر مطيق، والبحر مطيع...) <sup>47</sup>.

واشتد شغف الأديب للوصول الى افريقية؛ إذ كانت تُخامله الأحلام إليها منذ فارق الجزيرة <sup>48</sup>، وحرص المخزومي على مراسلة أبي زكريا برسالة طويلة سمّاها: "وفادة النفس السالكة شعاب الرجاء، إلى الحضرة المالكة رقاب الأعداء" <sup>49</sup>، تضمنت الدعاء والشكر، والثناء الكبير للحفصيين، بين النظم والشعر، حمّلها صديقه ابن خلاص الذي هاجر بأهله <sup>50</sup>، فلمّا كان الأسطول بوهران توفاه الله، ومع ذلك وصلت الرسالة إلى الحفصي <sup>51</sup>. وممّا جاء فيها: ( جناب الملك السعيد برغباتنا نؤم، ونُسَخ آمالنا في حضرته تعرض الأمّ...طلعة ميمونة النقية، ودولة مقابلة الشيبية، وسلطان ينصره الرحمان، ويحرسه العدل والإحسان، وترغب الجوزاء أن تقتعد كرسيه...وأعضاء <sup>52</sup> الملة بحد سلاحه جُبر كسيروها ) <sup>53</sup>.

وتمكن ابن عميرة أخيرا من ركوب البحر نحو بجاية في جمادى الآخرة من نفس العام، مُقدِّما وصفاً دقيقاً لخط سير مغامرته تلك، وهو جديرٌ بالوقوف عنده واقتناص فوائده. فصدّر رسالة وصفه بحمد الله والثناء عليه، وأنّ حكمته تعالى اقتضت تعجيل نعيمٍ وتأخير أخرى، ( نحمد الله على نعم هي بين حاضر مُوات، وغائب لا يُدرى متى هو أت، ثم إذا شاء سبحانه أطلعها والأمل قد نكس رأساً، وانقلب رأساً... ) <sup>54</sup>، والأديب هنا يُشير إلى فشله في السفر سابقا نحو بجاية. ثم أورد الصلاة على رسول الهدى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ليعقبها بالترضي عن مهدي الموحدين ابن تومرت ( إمام الأئمة، ومهدي الأمة ) <sup>55</sup>، ثم الاسترسال في مدح أخصّ أعوان هذا المهدي الذين مهدوا لقيام دولته، واستبسلوا في الدفاع عنها في حياته ثم مماته، لاسيما أبو حفص جدّ الحفصيين الذين سيرفل الأديب في نعمهم وكنفهم طويلاً <sup>56</sup>.

ثم انتقل إلى مدح أول أمراء الدولة المعاصرين له وهو أبو زكرياء واصفاً إياه، ومُعدّداً خصاله وأعماله الحربية التي وطّدت حكم الدولة الفتية: (الشيخ المعظم المقدس...أعطاه الله بسطة الملك في مُلك البسيطة، وهدّ بيع الإفك وشيع الشرك...وجمع عالمهم في واحده...ومتى دويت الممالك فرأيه فيها هو المليح، أو زويت السياسة فعنده منها المسند الصحيح. كما أنه إن فخرت السيوف فلأنها أقلّتها حمائله، أو الأقالم فعندما حوتها أنامله...وذلك عندما مكّن الله للدولة العزيزة في بلاده وعباده...) <sup>57</sup>.

وواصل بمدح ولي العهد بالثناء العاطر يومئذ أبي يحيى، والدعاء له بالنصر على الأعداء والسداد <sup>58</sup>، وهذا قبل أن تُعاجله المنية فيموت في سنة 646 هـ / 1248 م، ويُعيّن أخاه المستنصر بدلاً عنه، وهو الذي سيخلف والده في الحكم، ولله عاقبة الأمور!

وأما الرحلة فانطلقت في جو هادئ قبل أن يهب البحر الذي كان ( قد خبا طوفانه، وأعدّ رجفانه، حتى إذا وارى عنا جانبي البرّ، أبدى لنا ناجذي الشر، فأرسل كراديس موجه...) <sup>59</sup>، وتلاعبت الأمواج العاتية بالسفن خفضاً ورفعاً، واشتد رعب الناس آيسين من النجاة ( وأنّ الراكب منا سيذهب جفاء، ولكنّ الله برحمته تلافى، وما استبعد من الفرج في أقرب وقت وافى) <sup>60</sup>.

انتهت هذه المرحلة الأولى العصبية من الرحلة بتوقف الأسطول في ميناء هنين <sup>61</sup>، ( أريحت الرّذايا، وأزيحت الشكايا ) <sup>62</sup>، ويخبر الأديب بتعطّل أحد المراكب من جراء العاصفة ربما التي ضربت الأسطول فيما يبدو، وتركه هناك ( قد عابه خضارة...) <sup>63</sup>. ثم استأنف الأسطول رحلته نحو ميناء وهران وسُفنه تُدافع الريح وتجاهده <sup>64</sup>.

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

ووصل الأديب ورفقته بعد ثلاثة أيام تقريبا، وقضوا الليلة وقد عاد للبحر هدوءه ( كأنه لا عهد له بارتجاج )<sup>65</sup>، ثم ما لبث الجو أن تلبد وكثر الغيم، ( فما رأينا كتلك الليلة برقاً أخطف للعيون، ولا رعداً أقصف للمتون... ). ويُفهم من كلام ابن عميرة أن الأسطول نزل في أقرب مكان من مرسى وهران في طريقهم من هنين، فلما اشتدت العاصفة ليلا كان لا بد من التحول إلى مكان أهدأ وهو المرسى الوهراني الهادئ الآمن ( فإنه مرسى لا تخدش صفحته صكة الهبوب، ولا تصيب جنبه معزة الصبّ والجنوب)<sup>66</sup>.

استأنف الأسطول الرحلة نحو بجاية يوم الخميس فاتح جمادى الآخرة 646 هـ / ثاني أكتوبر 1248م، بعد قضاء خمسة أيام للراحة والتزود وترقب هدوء الطقس<sup>67</sup>، ووصل المسافرون مرسى مجهول في زمننا هذا ( عرفوه بني زيان )<sup>68</sup>، وهناك حاصرتهم الأمطار الغزيرة والرياح العاتية خلال إقامتهم الاضطرارية ليومين. وفي يوم الأحد استأنفت الرحلة والريح تعصف وتُفرق السفن، لكنها ما لبثت أن هدأت، وعملت المجاذف بجد حتى بلغت مرسى ( بجوج، خيره أقل من ماء ممجوج، والمقيم به أذل من وتد مثجوج )<sup>69</sup>. واستمرت الرحلة لتطوي محطات واد الشلف وتنس بسهولة ويُسر مناخ، وعادت الريح فدفعت السفن واستبشر راكبوها<sup>70</sup>، ثم تشكلت الأمواج وعلت وحاصرت، واشتد الفزع والهلع، ( ومازلنا في صعود وهبوط، ورجاء لا شيء أشبه منه بقنوط، حتى دخلنا شرشال، بعد أن لم يبق مفرق إلا شاب ولا راجح إلا شال... )<sup>71</sup>، وهناك وجد الأسطول ضالته فرسى بميناء تيبازة<sup>72</sup> سمّاه ابن عميرة بالبطل، ووصفه بالهادئ الآمن<sup>73</sup>.

ودخلت الرحلة مرحلتها الأخيرة صوب مدينة الجزائر، حيث نزل الوفد، وتزودوا ( وجددنا ما صلح من زاد، وبتنا هنالك ولليل غيم مزور جيبه، وفود بطيء شبيه... )<sup>74</sup>. وتجدد الإبحار غدوة الأربعاء والريح لطيفة معينة، ثم خبت فجذت المجاذف حتى بلغوا ( تدلس بمرساها الفسيح... وأقمنا هنالك ليلة الأحد )<sup>75</sup>. وفي منتصف ليله، وهدأة طقسه انطلقت المراكب والسفن مطمئنة في ضوء القمر وصولا إلى أزفون مع تقلب الجو مجدداً، وهبوب الرياح الشرقية القوية، ( فأقمنا هنالك بقية يومنا وبعض ليلتنا ثم سرينا والريح مساعدة في أكثر الطريق، والبحر لابس لبستي العدو والصديق، حتى أدت بنا أتباجه وديعة فلكها، وبلغتنا من بجاية حضرة ملكها، فاجتلينا غرة السّعود، ولثمنا يمين البأس والجود... )<sup>76</sup>.

وفي بجاية سينعم ابن عميرة بعناية الدولة ورعايتها، لكونه واحدا من قامات الأدب العالي الذي تجري وراءه الملوك لتؤزره، وتُعزّره وتُوقره خصوصا يومئذ بين بلاطات متنافسة ناشئة متناحرة، ( والسلام الكريم الطيب المبارك المردد الزكي العميم يخص المعالم المقدسة العلية السنية ورحمة الله تعالى وبركاته... )<sup>77</sup>.

ولاشك أن ما أثبتناه من نصوص الرحلة والتعليقات عليها يعود بفوائد متعددة، كون كاتبها قدّم مثلا وصفاً للمراسي والمدن الواقعة في المغرب الأوسط<sup>78</sup>: ( هنين - وهران - أرزيو - جوج - تنس - شرشال - تيبازة - الجزائر - تدلس - بجاية )<sup>79</sup>. ثم إنَّ هذا الوصف في حد ذاته غنيمة أدبية لما حواه من بديع الأسلوب وقوة المعنى وجمالية اللفظ باستخدام السجع والتشبيه والجناس وغير ذلك.

واستقر ابن عميرة أخيراً في بجاية في كنف الحفصيين، وحقق أولى خطواته المهمة للوصول لاحقاً إلى العاصمة تونس حيث بلاطُ السلطان، وقد كان كتب من سبته يمدح أبا زكرياء، ويتشوق إلى الهجرة والانتقال إلى حضرته، كما يحلم كل متشوف متوق لزيارة البقاع المقدسة! (....عبد الحضرة أبقاها الله تأخذ عطايا الفتح

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

مسلمة، وتتلقى أمداد السماء مردفة ومسومة....ولا أمل للعبد يدخل في زمرة، ويقرن حج الرجاء بعمرته، إلا في أن تتم له هجرته...<sup>80</sup>.

وحضر الأديب في بجاية جملة من الوقائع السياسية الهامة، لله الحمد والمنة أن حُفظت رسائل الأديب التي تناولتها بالشرح والتعليق والتعبير، وستوقف مع أبرزها إثباتاً وتعليقاً.

فمن بين الوقائع التي عاصرها الأديب يومئذ وفاة وليّ العهد أبي يحيى أواخر سنة وصوله، فكتب مُعزياً يفجعه الحزن والأسى، وتمّ إسناد ولاية العهد إلى أخيه محمد، وجواب أهل بجاية بقلم المخزومي بالامتثال والطاعة. ويظهر من خلال الصيغة التي كتب بها ابن عميرة رد البجائيين على البيعة المركزية، والتهاني والثناء والحزن، أنه كان يتولى بلاشك منصباً سيادياً في المدينة، غير بعيد أن يكون القضاء، وهو المنصب الذي جمع معه الكتابة، وتمرس عليه كثيراً في البلاطات المختلفة في الأندلس والمغرب الأقصى، ثم سيواصل تقلده لاحقاً في المغرب الأدنى<sup>81</sup>.

ابتدأ الأديب الرسالة بالدعاء للحضرة العلية بالعلو والنصر والتولي<sup>82</sup>. ثم انتقل للمقصود واصفاً بجاية بأنّها: ( منها تُضيء الأيام، وبها يستسقي الأنام، وإليها تهتز الأعطاف وبها يعتز الإسلام )<sup>83</sup>. قارناً ذلك بوصف الحفصي بأنه راعي الأمة المجيد القائم على حل مشاكلها ورأب صدعها، ( والله يزيد أيامه بهجة وسرورا، ودولته عزا وظهورا، ويبقيه لراية الإسلام ظاهراً ناصراً وبالرأي والحسام منصوراً )<sup>84</sup>.

ثم انتقل إلى مضمون الكتاب الذي وصل بجاية بخصوص ولاية العهد واصفاً إياه بأسلوب أدبي فخم، بما حواه من الألفاظ والمحاسن والبشارة<sup>85</sup>، ( وتضمن الكتاب الكريم إعلام العبيد، بهذا العقد المبارك السعيد، ليلتقطوا يانع الأنوار من ذلك الروض.... فإنه أمان لأهل الإيمان مجدد، وعمل لم يتقدم إلى استنباطه والتنقيح لمناطه إلا نظر صالح مبارك مسدد )<sup>86</sup>.

وينقل ابن عميرة الإجماع المحسوم من أهل بجاية على الطاعة هاهنا، ( وقد امتثل العبيد الأمر الكريم العلي، وسلوكوا سبيله الواضح السوي، وبايعوا الإمام المرتضى<sup>87</sup> أعلى الله قدره، وأطلع في سماء السعود بدره، بولاية العهد الكريمة على سننها المتبوعة، وحكمتها المشروعة، وطاعة أمرها الذي هو بطاعة المقام الكريم موصول، ولرضى الله به إن شاء الله ثبوت وحصول، وكملت بيعتهم السعيدة بشهادة الخاصة والجمهور )<sup>88</sup>.

واختتم الأديب كتابه بالدعاء للحضرة العلية كما بدأه بالنصر والسعادة والعلو وأنّ تظل: ( عزا الإسلام بحياتها التي حق النفوس كلها أن تكون فداها، وهو سبحانه ينصر لواءها، ويحرس أرجاءها، ويكبت أعداءها، ويشكر عن الإسلام وأهله مقامها وغناها )<sup>89</sup>.

ومما سجله أيضاً الرحلة التي قام بها إلى قسنطينة ثم رجوعه في سنة 647 هـ / 1249 م، وأرسل بها إلى الأمير أبي زكريا، وضمّمها أوصاف مهمة عن محطات سفره بالمغرب الأوسط، ( وقسنطينة مدينة عتيقة، وعقيلة في قصائر القياصر عريقة، وفيها كل آية بنيت بريعتها، وصنعة حبيت ببديعتها، وكل أثر لا يدري أيدي بنت الإيوان صنعته، أم جنّ سخرت لسليمان اخترعته... )<sup>90</sup>.

ويبدو من كلام الأديب أنه كان في رحلة مهنية، غير بعيد أن تكون تفتيشية، بدليل أنه لم ينصرف إلا بإذن، ( ثم جاءني الإذن في الانصراف فأخذت له أهبتة، وطلبت من أرضى صحبته... إلى أن بلغنا ميلا، وشاهدنا

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

ساحتها الجميلة، وإنها لمدينة بخصب الأرجاء متزينة، وفيها من الأوائل آثار بيّنة، صخور يعجب نحتها، وأبنية يعجز نعتها...<sup>91</sup>.

ومن الأحداث التي كتب فيها ابن عميرة، تهنئته للأمير أبي زكريا بشفائه من مرض ألمّ به، وهو في عنابة يتجهز للزحف إلى الجهات الغربية المتاخمة أواخر سنة 646 هـ / 1248 م، ( فالحمد لله الذي كشف الغم، وضاعف النماء، وأرانا حياة الأرض إذا أرسل عليها السماء، عارض ما أوحشت منه إمامة، حتى أعقبته صحة وسلامة...وكما أن الصحة منها داء، فالمرض منه ما هو إن شاء الله شفاء...)<sup>92</sup>.

لكن المرض عاود الأمير واشتد به، عقب وفاة ولده وولي عهده أبي يعي، وكانت وفاته في 647 هـ / 1249 م، وبطبيعة الحال كتب ابن عميرة في التعزية ثم في التهنئة بتولي المستنصر.

ومما كتبه في ذلك رسالةً ابتدأها بالدعاء للحضرة العلية بالنصر على الأعداء، ( من بجاية كلاًها الله وبمعقل هديها من طوفان الرجفان الاعتصام، ونظرها لأهل الايمان بإنجاد الرحمان هو النظام...)<sup>93</sup>. ثم دخل في موضوع وفاة أبي زكريا وبلوغ الخبر بكتاب سلطاني من العاصمة تونس، ( مفصحا بالداهية الكاشفة عن ساق، الكاسفة للبدور والشموس عن تمام وإشراق، فأى رزء دهم الأنام، وعين أصابت الاسلام، وسهم للردى كسر النصال وحطم السهام، بالحادث في مولانا المقدس المجاهد المرتضى ألحقه الله بسلفه الأطيبين، وسقاه في دار النعيم من التسليم الذي هو شراب المقربين...)<sup>94</sup>.

غير أنّ الأديب يستدرك في الحزن ما حصل باعتلاء المستنصر العرش خلفاً لأبيه تحت شعار: مات الملك، عاش الملك<sup>95</sup>، وفي ذلك نوع من بث الاطمئنان العام في القلوب عامة عن انتقال سهل وسلسٍ للسلطة، واستمرارية لخط حكم الأسرة، كما أنه يبعث برسالة للخارج المحيط من متربص وعنيد عن قوة الدولة، واستقرارها السياسي رغم وفاة أبي زكريا العظيم، ( فعند ذلك عادت إليه نفسه، وبزغت بالرأي الأول من الأفق الأعلى شمس، وعلم أن الماضي - رضوان الله عليه - كان قد ألقى أمر الأمة إلى خير كافل يقتفي سننه الاجب، ولا يفقدها إلا شخصه الذاهب...والدولة العزيزة بحمد الله لشبابها ريعان، ومن شعاعها لمعان، فأيدي الأولياء عالية، وأحياد النعم حالية، وسيف الجد المكافح صارم، وأنف العدو الكاشح راغم)<sup>96</sup>.

ثم يبين الأديب الأمر الذي أصدره القصر الملكي، للكاتب سواء كان ابن عميرة أو من كتب عنه، بضرورة بث الأمان بين الناس ودفع أي خوف أو قلق على مصائرهم في ظل العهد الجديد، ( وأمر العبد ببسط الآمال، وضبط الأحوال وإشعار الناس بما لهم عند المقام الكريم من القبول والإقبال، والعبد مشمر لذلك عن ساعد...)<sup>97</sup>.

وأما في جانب العطاء العلمي، فقد جلس الأديب نحواً من عامين، مُجيزاً ومُستجيزاً له ولولديه. وجلس لتدريس لأهميات دواوين العلم كتنتقيحات السهروردي في أصول الفقه، التي لم يكن يتعرض لإقراءها إلا من له ذهن ثاقب<sup>98</sup>. وشارك أيضاً في المجالس العلمية التي كانت تنعقد بمنزل صديقه ابن محرز البلنسي<sup>99</sup> شيخ الجماعة الأندلسية<sup>100</sup>، وكان يحضرها أقطاب الأندلسيين<sup>101</sup>. ولم يتوقف ابن عميرة عن نشاطه الأدبي في هذه المدينة حيث كاتب العديد من أصدقائه<sup>102</sup>.

وصفوة القول أن ابن عميرة تقلد خلال مكثه بالمغرب مناصب مختلفة، وقبلها بالأندلس. وخلف رسائل غاية في الجودة والأهمية، جعلته بحق إرثاً مشتركاً بين المغرب والأندلس. فقد مكث عشرين سنة بأرض

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

المغرب، كان فيها الكاتب والمدرس والمستشار الخاص للسلطان الموحيدي ثم الحفصي<sup>103</sup>. ورغم الفترات الصعبة والخطيرة التي تخللت حياته، غير أنه عوض ذلك بنجاحه الوظيفي، ( فقد شغل مناصب سياسية مهمة رسم معالمها في رسائله الديوانية، فاستحق بذلك ثناء المؤرخين باعتباره شيخ كُتاب زمانه )<sup>104</sup>.

وطارت الشهرة بما خلفه من أعمال في بجاية أو بعد انتقاله إلى تونس، وظلت ولا تزال محفوظة مسطرة في الكتب، ينقلها اللاحق عن السابق في التراجم التي خصصت للعلماء ورجال السياسة، والشعر<sup>105</sup> والأدب<sup>106</sup>، فضلاً عن شهادات أقرانه ومن ترجموا له.

فقد حلاه ابن الأَبَّار وهو مُعاصره وزميل مهنته وابن مدينته بكونه: ( فائدة هذه المائة، والواحد يفي بالفئة، الذي اعترف بأمجاده الجميع، واتصف بالإبداع فماذا يوصف به البديع، ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم، لما له من حق التعليم، كيف وسبقه الأشهر، ونطقه الياقوت والجوهر، تحلت به الصحائف والمهاريق، وما تخلت عنه المغرب والمشارك، فحسبي أن أجهد في أوصافه، ثم أشهد بعدم إنصافه، هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره، وتناول المنثور والمنظوم على شكره )<sup>107</sup>.

ووصفه زميله المغربي ابن عبد الملك بأنه: ( حسن الخلق والخلق، جميل السعي للناس في أغراضهم، حسن المشاركة لهم في حوائجهم، متسرعاً إلى بذل مجهوده فيما أمكن من قضائها بنفسه وجاهه تصحبه غفلة )<sup>108</sup>.

وقال عنه أيضاً أنه: ( كان يذكر أنه رأى في منامه، النبي صلى الله عليه وسلم، فناوله أقلاماً، فكان يُروى له أن تأويل تلك الرؤيا، ما أدرك من التبريز في الكتابة، وشياع الذكر )<sup>109</sup>.

وقال عنه ابن الخطيب: ( وعلى الجملة فذات أبي المطرف فيما ينزع إليه، ليست من ذوات الأمثال، فقد كان نسيج وحده إدراكاً وتفناً، بصيراً بالعلوم، محدثاً كثيراً، راوية ثبناً، سجراً في التاريخ والأخبار... مضطرباً بالأصلين، قائماً على العربية واللغة، كلامه كثير الحلاوة والطلاوة، جمّ العيون غزير المعاني والمحاسن، وافد أرواح المعاني، شفاف اللفظ، حرّ المعنى، ثاني بديع الزمان، في شكوى الحرفة وسوء الحظ، ورونق الكلام، و لطف المأخذ، وتبريز النثر على النظم والقصور في السلطانيات )<sup>110</sup>.

وجاء في عنوان الدراية أنه: ( الشيخ الفقيه، المُجيد المجتهد، العالم الجليل الفاضل، المتقن المتفنن، أعلم العلماء، وتاج الأدباء... وفاق الناس بلاغة، وأربى على من قبله، وتهادته الدول... وله أدب هو فيه فريد دهره، وسابق أهل عصره... )<sup>111</sup>.

وقال فيه بعض علماء المغرب: ( قدوة البلغاء، وعمدة العلماء، و صدر الجلة الفضلاء... ونكتة البلاغة التي قد أحرزها وأودعها، وشمسها التي أخفت ثواقب كواكبها حين أبدعها، مبدع البدائع التي لم يحظ بها قبله إنسان، ولا ينطق عن تلاوتها لسان، إذ كان ينطق عن قريحة صحيحة، وروية بدرر العلم فصيحة، ذلت له صعب الكلام، وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين... في يديه الأقلام )<sup>112</sup>.

وحيث أنّ ابن عميرة اشتهر بثقافته الواسعة والمتنوعة، بين العربية واللغة، والبراعة في الأدب<sup>113</sup> مُتفناً فيه، مُولعاً بعلوم الفلسفة والمنطق والفلك والطب. فإنه خلف للمكتبة الإنسانية إنتاجاً علمياً، التي لم تنجح أعباء السياسة في طمس معالمه. ومن التأليف التي خلفها ابن عميرة إجمالاً<sup>114</sup>:

## • ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديها ..... عمارة سيدي محمد

- 1 - الرسائل بأنواعها يأتي على رأسها المجموع المسمى (بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف).
- 2 - التنبيهات على ما في التبيان من تمويهات
- 3 - تعقيب على كتاب المعالم للفخر الرازي
- 4 - اقتضاب من تاريخ المرديدن
- 5 - تاريخ ميورقة.

### الخاتمة:

آن لنا في نهاية هذه الجولة الأدبية التاريخية في كتابات ابن عميرة المخزومي، الوقوف على الأهمية البالغة للرحلات في صناعة تاريخ الأندلس والمغرب الأوسط خصوصاً، ولولا ذلك لبقيت ظلمات الجهل جاثمة على نهضة علمية وأدبية، في ظل أحوال سياسية متقلبة كانت مع أوضد النُخب. فيحق لنا أن نصف حياتك يا ابن عميرة بالمغامرة، ولاشك أن المهاجر المغامر قد يقطع صلته بماضيه، وقد يتخلى عن مبادئه أو بعضها، ولا يصبو إلا إلى مستقبله انطلاقاً من واقعه، فلا بد له أن يؤثر ولا يتأثر إلا بما يخدم هدفه الأول.

### الملحق<sup>115</sup>: رسالة ابن عميرة في وفاة الأمير أبي زكريا الحفصي

( فكتب العبد الفقير كتب الله للمقام الكريم توالي النعم الجسام، وقسم له من صالح ثوابه أوفر الأقسام، من فلانة ورأيه في الأمور المهمة، والخطوب المدلهمة، إليه يعشو من عدم الإبصار، وبه يقتدي من عدل عن السبيل وجار.

والحمد لله الذي أمره ماض، وقضاؤه به ينتقض حكم كل قاض، وإنا لله وإننا إليه راجعون رضى بمجاري الأقدار، وتجلداً على الخطب الذي أظلم له وجه النهار، وعند الله نحتسب فلاناً<sup>116</sup> جزاه الله خير جزائه، ورفع في أعلى منازل أوليائه، فقد ترك الجوانح ملتهبة، والمدامع منسكبة، والقلوب دامية، والأيام مظلمة داجية، وهذا الخطب وإن تناول الخلق عموماً، وكان فهم بالسوية مقسوماً، فقد ضعف على العبد منه ما يؤدّ الأفئدة، ولا يجد منجداً عليه إلا الزفرات المتصاعدة، والعبرات المسعدة.

وكان في هذه المدة في سبيل الخدمة التي وجه لها متعرفاً فيها ببركة النظر العليّ ما عود الله عبده من الصنع الجميل، ومقاصد التيسير والتسهيل، وقد صدر عنها عند هذه الحادثة العظيمة، وخلف الأحوال وراءه على مجاريها مستقيمة، وعجل خدمة المطالعة يوم وافى فلانة وبدأ بقصد التربة المقدسة مستشفياً بلثم ثراها<sup>117</sup>، وداعياً لسكانها بأشرف المنازل وأعلاها<sup>118</sup>.

## إِحَالَاتُ الْبَحْثِ

- 1 - يُنظر لمزيد التفصيل: نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تق، صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، 1428 هـ - 2008 م، الأردن، ص 20 وما بعدها.
- 2 - عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7 هـ / 13 م) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، (مرقونة)، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران - السانبا، السنة الجامعية، 1433 - 1434 هـ / 2012 - 2013 م، ص 38 - 59.
- 3 - بفتح العين، هكذا ضبط اسمه محمد بن شريفة في كتابه (أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1966. انظر أيضا: أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغريبي، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، عادل نويهيض، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، ص 298، الهامش 1.
- 4 - لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح، محمد عبد الله عنان، مج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1393 هـ - 1973 م، ص 173.
- 5 - القريبة من شاطبة، بينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا شرق الأندلس. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص 349 - 350. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1955، ج 2، ص 363.
- 6 - ابن الأثير، المعجم في أصحاب القاضي الصدي، تح، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط1، 1410 هـ - 1989 م، ص 170، وشذ عن ذلك أبو الحسن الزيات، الذي نقل كلامه ابن عبد الملك الذي نسيه إلى اليهود، ووصف جده أو أباه بمجهول النسب اللقيط، وقد تعرض ابن عبد الملك لنقد ابن الخطيب على هذا النقل. انظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة، س1 - ق1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، ص 150 - 151، ابن الخطيب، مصدر سابق، مج1، ص 173.
- 7 - عمارة سيدي محمد، الوظائف السلطانية في المغرب والأندلس من القرن السابع إلى التاسع الهجري (13-15 م)، رسالة لنيل الدكتوراه (علوم) في التاريخ الوسيط، (مرقونة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي الياصب سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2019 - 2020 م، ص 205.
- 8 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س1 - ق1، ص 152.
- 9 - بوداعة نجادي، "علم الحديث ورواده بالأندلس خلال القرن السادس والسابع الهجري"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 16، منشورات كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جمادى الثانية 1433 هـ - ماي 2012 م، ص 230 - 239.
- 10 - انظر: محمد شباح، عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص، الحضارة الإسلامية، (مرقونة)، السنة الجامعية، 1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م، ص 23 - 131.
- 11 - محمد بن زين الدين رستم، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1430 هـ - 2009 م، ص 7 - 168، وانظر للتفصيل أيضا: أمحمد بوشريط، ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي 300 هـ -

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

460 هـ / 912 م – 1067 م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، ( مرقونة )، قسم التاريخ علم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية، 1432 هـ – 1433 هـ / 2011 – 2012م، ص ص 90 - 183.

- 21 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 152.
- 13 - المصدر السابق نفسه، س 1 - ق 1، ص 151 - 152، ابن الخطيب، مصدر سابق، مج 1، ص 174.
- 14 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 151 - 152، ابن الخطيب، مصدر سابق، مج 1، ص 174.
- 15 - شقروبلنسية وشاطبة ودانية ومرسية.
- 16 - ابن شريفة، مرجع سابق، ص 85.
- 17 - ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2، ص 363.
- 18 - السيد أبي عبد الله محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن.
- 19 - السيد أبو العلاء الكبير. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين-، تح، مجموعة من الأساتذة دار الغرب الاسلامي- بيروت- لبنان، ط 1، 1406- 1985، ص 276.
- 20 - انظر رسائله: أحمد عزاوي، رسائل موحدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، المغرب، ق 1، ط 1، 1416 - 1995، برقم 108، 107، 115، 116.
- 21 - للسيد أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن.
- 22 - زيان بن سعد بن مردنيش الجذامي. ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2، ص 303.
- 23 - المصدر السابق نفسه، ج 2، ص 303.
- 24 - جزيرة شقرو.
- 25 - أبي عبد الله بن مردنيش. انظر: ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 289.
- 26 - ابن شريفة، مرجع سابق، ص ص 85 - 115.
- 27 - ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 299.
- 28 - وسيأتي نقله والتعليق عليه قريباً.
- 29 - عمارة، هجرة الأندلسيين، ص 38 وما بعدها.
- 30 - أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية أو بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، تح، محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2014، ص 106 - 107، برقم: 34.
- 31 - العزاوي، مرجع سابق، م ت، ص 19.
- 32 - المرجع السابق نفسه، ص 108، الرسالة 35.
- 33 - نفسه، ص 110.
- 34 - نفسه.
- 35 - ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 359 وما بعدها.
- 36 - العزاوي، مرجع سابق، ص ص 120 - 122، الرسالة 40.
- 37 - المرجع السابق نفسه، م ت، ص 20، وتراجع الرسالة 39، ص 119.
- 38 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 177 - 178.
- 39 - العزاوي، مرجع سابق، ص 123 - 124، الرسالة 41.
- 40 - المرجع السابق نفسه، م ت، ص 21.

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديها ..... عمارة سيدي محمد

- 41 - العزاوي، مرجع سابق، ص 125 - 126، الرسالة 42.
- 42 - نفسه، ص 127.
- 43 - نفسه، ص 128.
- 44 - تولى ذلك كتبها ابن عبدون في ذي الحجة من نفس السنة. انظر نصها: ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 377 - 378.
- 45 - السبتي، مصدر سابق، ص 488 - 489، الرسالة 250.
- 46 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 179، ومصدر معلومه تلك شيخه أبي الحسين الرعيبي المُخاطَبُ بالرسالة.
- 47 - السبتي، مصدر سابق، ص 280، الرسالة، 112.
- 48 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 179.
- 49 - السبتي، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، ص 44.
- 50 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 179.
- 51 - السبتي، مصدر سابق، الرسالة، 146، ص ص 319 - 340.
- 52 - لعلها وأعداء.
- 53 - السبتي، مصدر سابق، ص 323 وما بعدها.
- 54 - نفسه، ص 351.
- 55 - نفسه، ص 351.
- 56 - عمارة محمد، الوظائف، ص 211 وما بعدها.
- 57 - السبتي، مصدر سابق، ص 352، الرسالة 154.
- 58 - المصدر السابق نفسه، ص 352 - 353.
- 59 - نفسه، ص 353.
- 60 - نفسه، ص 353.
- 61 - عن مراسي المغرب الأوسط وتصنيفها الزماني والمكاني، يُراجع: عبد السلام الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 43 وما بعدها.
- 62 - السبتي، مصدر سابق، ص 353.
- 63 - المصدر السابق نفسه، ص 354.
- 64 - نفسه، ص 354.
- 65 - نفسه
- 66 - نفسه
- 67 - نفسه، ص 354 - 355.
- 68 - نفسه، ص 355، وغير بعيد أن يكون مرسى مدينة أريزو الساحلية.
- 69 - لعله مرسى عين فروج، نفسه، ص 355، الهامش 3.
- 70 - نفسه، ص 355.
- 71 - نفسه.
- 72 - لعله مرسى عين فروج، نفسه، ص 355، الهامش 3.
- 73 - السبتي، مصدر سابق، ص 356.

- 74 - المصدر السابق نفسه، ص 356.
- 75 - نفسه.
- 76 - نفسه، ص 357.
- 77 - نفسه، ص ص 358 - 361
- 78 - بن مصطفى دريس، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الاسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة ( ق 7-10 هـ / 13-16 م )، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، ( مرقونة )، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 1434 - 1435 هـ / 2013 - 2014 م، ص 168 - 171.
- 79 - نوال، مرجع سابق، ص 52.
- 80 - السبتي، مصدر سابق، ص 193.
- 81 - وإلى هذا الرأي أشار العزاوي، مرجع سابق، ص 24 الهامش 2.
- 82 - السبتي، مصدر سابق، ص 270.
- 83 - المصدر السابق نفسه، ص 270.
- 84 - نفسه.
- 85 - نفسه، ص ص 270 - 272
- 86 - نفسه، ص 272.
- 87 - يعني أبا زكرياء الحفصي والد ولي العهد.
- 88 - السبتي، مصدر سابق، ص 272.
- 89 - المصدر السابق نفسه، ص 273.
- 90 - نفسه، ص 138.
- 91 - نفسه، ص 140 - 141.
- 92 - نفسه، ص 163 - 164.
- 93 - نفسه، ص 361.
- 94 - نفسه، ص 361 - 362.
- 95 - كلام المحقق، السبتي، مصدر سابق، ص 364، الهامش 1.
- 96 - المصدر السابق نفسه، ص 362.
- 97 - نفسه.
- 98 - الغبريني، مصدر سابق، ص ص 299 - 301.
- 99 - المصدر السابق نفسه، ص 283 - 284، ابن عبد الملك، مصدر سابق، ص 1 - ق 1، ص 481، محمد عمارة، هجرة الأندلسيين، ص ص 113 - 115.
- 100 - محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري ( 13 - 16 م )، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، ( مرقونة )، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1421 - 1422 هـ / 2000 - 2001 م، ص 42 - 43، وص ص 64 - 66 وما بعدها.
- 101 - يأتي في مقدمتهم ابن الأثير وابن الجنان وابن سيد الناس وغيرهم.
- 102 - ابن شريفة، مرجع سابق، ص 149.

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديها ..... عمارة سيدي محمد

- 103 - الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ج 1، ص 128. وله كلام مهم يبدأ من ص 121.
- 104 - سامية جباري، أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة ( 92 هـ - 897 م)، ( مرقونة )، ص 199.
- 105 - رعد ناصر الوائلي، دفع الهزيمة عن شعر أبي المطرف بن عميرة، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، ع 9، ص ص 131 - 151.
- 106 - حكيم بوغازي، منهجية البلاغة وعقلنة الاصطلاح - كتاب التنبيهات لابن عميرة أنموذجا -، مجلة مقاليد، ع 12، جوان 2017م، ص ص 89 - 97.
- 107 - أبو عبد الله محمد بن الأبار، تحفة القادم، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1406 هـ / 1986م، ص 209.
- 108 - ابن عبد الملك، مصدر السابق، س 1 - ق 1، ص 179.
- 109 - المصدر السابق نفسه، ص 176.
- 110 - ابن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص 174.
- 111 - الغبريني، مصدر السابق، ص 298 - 299.
- 112 - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408 هـ - 1988م، مج 1، ص 313 - 314.
- 113 - انظر ما أورده ابن الأثير من أشعاره وقصائده، تحفة القادم، ص ص 209 - 215.
- 114 - ابن عبد الملك، مصدر السابق، س 1 - ق 1، ص ص 168 - 187.
- 115 - السبتي، مصدر سابق، ص 112 - 113.
- 116 - أي أبا زكريا الحفصي.
- 117 - تقديس أشياء أو أماكن بعينها، واعتقاد البركة والشفاء وقضاء الحاجات يحتاج دليلاً شرعياً صريحاً، وإلا فإنَّ فاعل ذلك بين بدعة وبين طريق إلى الشرك، كما حصل مع قوم نوح مع صالحهم، حتى عبدوهم في آخر المطاف!.
- 118 - السبتي، مصدر سابق، ص 112 - 113.

## مراجع البحث

### 1 - المصادر:

- 1 - ابن الأثير. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، ط 1، 1406 هـ / 1986م، تحفة القادم، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- 2 - ابن الأثير. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، ، 1410 هـ - 1989م، المعجم في أصحاب القاضي الصدي، تح، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط 1.
- 3 - التلمساني. أحمد بن محمد المقرئ، 1408 هـ - 1988م، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 1.
- 4 - الحميري. محمد بن عبد المنعم، 1984، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 2.

## ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

- 5 - ابن الخطيب. أبو عبد الله محمد، ط1، ط2، 1397 هـ - 1977 م، 1393 هـ - 1973 م، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، مج1.
  - 6 - السبتي. محمد بن هاني اللخمي، 2014م، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية أو بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، تح، محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
  - 7 - ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، س1 - ق1.
  - 8 - الغبريني. أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس، ط2، ابريل، 1979 عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، عادل نويض، منشورات دارالافاق الجديدة، بيروت، لبنان.
  - 9 - المراكشي. ابن عذاري، ط1، 1406-1985، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين-، تح، مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الاسلامي- بيروت- لبنان.
  - 10 - المغربي. ابن سعيد، ط4، 1964م، المغرب في حلى المغرب، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج2.
- 2- المراجع:**
- 11- توات. الطاهر، 2010، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، ج1.
  - 12 - الجعماطي. عبد السلام، ط1، 2012، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
  - 13 - رستم. محمد بن زين الدين، ط1، 1430 هـ - 2009م، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
  - 4 - بن شريفة. محمد، 1966، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.
  - 15 - الشوابكة. نوال عبد الرحمان، ط1، 1428 هـ - 2008م، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تق، صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن.
  - 16 - عزاوي. أحمد، ط1، 1416 - 1995، رسائل موحدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، المغرب، ق1.
- 3- الأطروحات:**
- 17 - بوحسون. عبد القادر، السنة الجامعية، 1433 هـ - 1434 هـ / 2012 م - 2013 م، الأندلس في عهد بني الأحمر، دراسة تاريخية وثقافية، ( 635 - 897 هـ / 1238 - 1492 م )، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، ( مرقونة)، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
  - 18- بوشريط. أحمد، السنة الجامعية 1432 هـ - 1433 هـ / 2011 - 2012م، ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي 300 هـ - 460 هـ / 912 م - 1067م، أطروحة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، ( مرقونة)، قسم التاريخ علم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران.
  - 19- جباري. سامية، أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة ( 92 هـ - 897 م )، ( مرقونة ).
  - 20 - سيدي موسى. محمد الشريف، السنة الجامعية، 1421 - 1422 هـ / 2000 - 2001م، الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري ( 13 - 16م)، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، ( مرقونة )، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر.

## • ابن عميرة المخزومي قاضي بجاية وأديبها ..... عمارة سيدي محمد

- 2 - شباح. محمد، السنة الجامعية، 1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م، عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص، الحضارة الإسلامية، ( مرقونة ).
- 22 - عمارة سيدي محمد، السنة الجامعية، 2019 - 2020 م، الوظائف السلطانية في المغرب والأندلس من القرن السابع إلى التاسع الهجري ( 13 - 15 م)، رسالة لنيل الدكتوراه ( علوم ) في التاريخ الوسيط، ( مرقونة )، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس.
- 23 - عمارة. سيدي محمد، ، السنة الجامعية، 1433 - 1434 هـ / 2012 - 2013 م، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن ( 7 هـ / 13 م ) ودورهم الثقافي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، ( مرقونة )، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، جامعة وهران - السانبا -.
- 24 - بن مصطفى. دريس ، السنة الجامعية، 1434 - 1435 هـ / 2013 - 2014 م، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة ( ق 7 - 10 هـ / 13 - 16 م )، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ( مرقونة )، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقائد، تلمسان.

### 4 - المقالات:

- 25 - بوغازي. حكيم، جوان 2017 م، منهجية البلاغة وعقلنة الاصطلاح - كتاب التنبيهات لابن عميرة أنموذجا -، مجلة مقاليد، ع12.
- 26 - نجادي. بوداعة ، جمادى الثانية 1433 هـ - ماي 2012 م، " علم الحديث ورواده بالأندلس خلال القرن السادس والسابع الهجري "، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 16، منشورات كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية.
- 27 - الوائلي. رعد ناصر، دفع الهزيمة عن شعرا أبي المطرف بن عميرة، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، ع9.

